كلاب ... وكلاب !...

للأستاذ عبد الله حبيب

« إلى هذا الشيخ الجاثم فى حفرة بين المقابر كما يجثم العقاب الهرم ، وإلى وحيدته فاطمة الراقدة تحت أطباق الثرى ، وإلى هذه الكلاب التى ترفل فى نعيم الدنيا ، وإلى الصعاليك من بنى آدم أهدي هذه القصة » ع . ح

— ١ —

كان البدر يتألق فى صفحة السماء ، وكان الليل مشرق الجبين فتهلل وجه الطبيعة ، وانقشعت غياهب يومنا العابس المطير

وكأن سحو هذه الليلة وإشراقها قد أشاعا الدفء فى الأرجاء فنسينا أننا فى ليلة من ليالى الشتاء

وكنت مع صاحبي ليائتذ — فى داري التى اخترتها لسكناى بالضاحية النائية على حافة الصحراء — نطوف بالذكريات فى ركب الأيام ومواكب الأعوام ، وطال بنا الجلوس ظنا البقاء وهممنا بالخروج ننشق نسيم هذه الليلة التى تشبه ليالى الربيع ، وكنا نسير إلى غير قصد معلوم

قال لى صاحبي :

— ألك فى رحلة قصيرة نجتاز بها هذا الجانب من الصحراء إلى تلك القرية الصغيرة على مسيرة ربع ساعة ننعم فى خلالها بالبدر يسطع فوق رمالها البيضاء ، وبالليل نبدد سكونه بما يحضرنا من حديث ؟

وكان تألق البدر فى الصحراء يغرى بالمضى إلى حيث شاء صاحبي فأجبته إلى ما أراد

... ونعمنا فى طريقنا إلى القرية بسكون الليل وفتنة القمر ما شاء الله أن ننعم . ثم أراد صاحبي أن نسلك فى عودتنا طريقاً أخرى ...

قلت :

— وماذا تبغى من هذه الطريق ؟

— لنمر بمقابر هذه القرية لعلنا نجد الشيخ الكفيف المسلوب العقل فى صحوة من صحواته هناك فأريك منظراً عجباً ، وأحدثك حديثاً أعجب من العجب ...

— شيخ كفيف مسلوب العقل يسكن هذه المقابر وهو حى ؟

— أجل ، وفى حفرة عميقة تشبه الجب لا يبرحها ليلاً أو نهاراً إلا إذا ثارت ثائرته فنهض منها ينفض عن بدنه وثيابه

البويضات البكر ، ووضعها تحت علاج ناجع دون تعريضها للهلاك ، ثم وضعها فى رحم مستعد لقبولها ، وهذه كلها مجموعة من الصعاب تبدو ذات طبيعة تتحدى أكثر المختبرين مهارة

إلا أنه يلوح أن العالم الأمريكى « جربجورى بنكس » قد تغلب على هذه الصعاب ، فاستطاع إنماء بويضة الأرنب بالتوالد البكرى ، وهو كشف عظيم الدلالة ، لو أنه كان فى وقت قليل الاضطراب لاعتبر كأنه حدث كبير

أخذ بنكس بعض البيض البكر ووضعه تحت تأثير محلول ملح أو حرارة مرتفعة (٤٧°) وبعد أن نشطه على هذا المنوال نقله إلى رحم أرنبة أخرى كان قد أعدها من قبل فى حالة حمل كاذب ، أى فى الحالة التى يكون للأنثى استعداد لقبول وتغذية البيض ، فنما بعض هذا البيض (٣ فى المائة) بطريق التوالد البكرى إلى درجة متقدمة فى التطور الجنينى ، بل لقد أفرخت بيضة منها أرنباً حياً ولد فى موعده

ونجاح بنكس إلى هذه الدرجة يذهل ، حتى ليصعب على الإنسان ألا يشك فى غلطة أثناء التجربة ، ولكنه يجب أن نذكر أن هذه النتائج قد أعلنها بيولوجى مشهور أعطى كثيراً من الأدلة على رسوخه الفنى ، ونديين له بأعمال باهرة فى تربية بعض الحيوانات الثديية

ولكن من المحتمل على الأقل أن يكون أرنب بغير أب قد رأى النور بفضل العلم ، فالعلم لا يتبطل . وقد رأينا التوالد البكرى الصناعى لقنفذ البحر فى سنة ١٩٠٠ وللضفدعة فى سنة ١٩١٠ وللأرنب فى سنة ١٩٣٩ . فمتى يكون للانسان ؟

« فيم مارياه »

ترابها ، ويمتشق عصاه فيلوّح بها فى الفضاء صائحاً :

كلاب ! كلاب ...

— وما شأن هذا الشيخ ؟

— إن أكثر سكان الضاحية يعرفون خبره ومصرع ابنته فاطمة . إنهم يمرون به فى طريقهم إلى السوق فيحسنون إليه بإلقاء بعض الطعام فى حفرته دون أن يدنو منه أحد . إنه على ضعفه وكبر سنه وذهاب بصره ونخاذل قواه يفتك بمن يقترب منه . إنه يعاف ما يلقى إليه من الطعام فيظل أياماً لا يأكل منه شيئاً ، كأنه يريد أن يعجّل فى أجله فتأبى عليه الأقدار العاتية إلا أن يتعذب ...

— وما خطبه صنع الله له ؟

وكنا فى مسيرنا قد أشرفنا على مقابر القرية ، فبدت لأعيننا فى وحشة الليل وجلال الصحراء كالأشباح المترامية بين الوهاد والآكام

ثم صاحبى الصمت ، وسرت بجانبه مأخوذاً برهبة الموت ، فلا هو استطاع أن يسترسل فى حديثه عن الشيخ ولا أنا أصررت على أن يجيب

وكنا كلما اقتربنا من هذه المقابر الجاثمة فى الفضاء زادت وحشتنا من سكون الليل الرهيب

— ٢ —

الآن نحن على حافة الحفرة العميقة التى اتخذها شيخنا المسكين مقراً ، وها هو ذا ملقى على ترابها فى ثيابه المهلهلة بغير غطاء ، وتلك عصاه التى حدثنى عنها صاحبى يقبض الشيخ عليها وهو فى غفوته ساكن لا يتحرك ، وتلك أنفاسه المتقطعة كأنها حشرجة الموت لا نسمع سواها فى وحشة الليل وسكونه

إنه الآن يتململ فى ضجعته ، لقد أيقظه السعال !! — ما أشد وقع هذه اللحظات الرهيبة على نفسى — ها هو ذا ينتبه متهالكا على نفسه ... إنه يعتمد على عصاه فيقف وكأنه ميت قام يجرجر أكفانه ... وها هو ذا يتحسس الطريق إلى الأرض المستوية

... إنه يمد عنقه ، ويتسمع بأذنه ، ويتشمم الهواء . كأنه أحس أنفاساً غريبة فى جو المقبرة . وها هو ذا يتمتم بكلمات متقطعة

لقد ابتعدنا عن حافة حفرته حين صعد إلى الأرض المستوية . لكنى غالبت الخوف والرهبة فبقيت على مقربة منه أنظر إلى وجهه على ضوء القمر الساطع ...

ما أروع هذا الوجه وما أحفله بالأسرار والمعانى . عينان أطفأ نورهما فعل السنين ، وجبين خطت فيه الشيخوخة سطوراً متعرجة من التغضون والتجاعيد ، وأنف أشم أقنى ، ورأس ضخم جلله المشيب ، وجسم ناحل ضامر

وقف يجمجم بكلمات لا تبين ، ثم لم يلبث على هذا الحال كثيراً ، وكأن قوة عاتية سرت فى هذا الجسم النحيل الذاوى ، فانتفض كالأسد المحصور يلوح بعصاه ويبدو فى الفضاء

كان المسكين يحارب الهواء ، وينازل الأعداء ، وكنت فى هذه اللحظة أحبس أنفاسى ، وأتحاشى مواضع جولاته ومطارح عصاه . وكان فى هذه الثورة الجارفة يكرر كلمة واحدة بصوت قاصف كالرعد : كلاب ! ! كلاب ...

ثم خارت قواه وانطفأت جذوة غضبه فراح يتهالك على نفسه ويجر قدميه يتلمس مكان الحفرة التى صعد منها ، وما زال كذلك حتى أحست إحدى قدميه مكانها فألقى بنفسه فيها فإذا هو جاثم كما يجثم الثعلب المحرم لا حركة ولا نأمة

ودنا منى صاحبى — وكنت أستند إلى جدار مقبرة نائية كالمسحور لا أقوى على الحركة أو الكلام — فاجتذبنى من يدى لنواصل السير ، فمشيت بجانبه مأخوذاً من هول ما رأيت ذاهلاً عن كل شىء . وما زلنا حتى ابتعدنا عن هذه المقبرة وجوّها المفزع الرهيب ، ثم بدأ صاحبى يقول :

— يوم رأيت هذا الشيخ أول مرة تولانى من الفزع مثل ما تولاك . أما اليوم فقد ألفت مرآه ، وإن كنت لا أزال أرثى لحاله وأجزع عليه أشد الجزع كلما تذكرت مأساته الدامية ...

— وهل للمسكين مأساة غير ذهاب بصره وعقله وارتمائه فى هذه الحفرة بين الأموات ؟

— إن هذه الحال الأليمة التى شاهدتها إنما هى آخر مأساته . أما أولها فهو آلم وأوجع مما شاهدت ...

— ٣ —

... ومضى صاحبى يتحدث عن هذا الشيخ فقال :

كان المسكين وجيهاً فى قومه وأحد أغنياء قريته ، مرموقاً

بين أهلها بالتجلة والاحترام ، واستنار فى صباه بما قرأ من كتب الأقدمين والمحدثين ، واستطاع بما وهبه الله من بصيرة نيِّرة وإحساس مرهف مشبوب أن يدرك مقدار ما يعانى فقراء قريته وعمالها المكدودون ، وأرَّقه همُّ التفكير فى شأن هؤلاء المساكين وما يعانون من ظلم الأغنياء وتحجر قلوبهم ، فوهب حياته وماله فى سبيل نصرتهم وحثهم على إدراك ما لهم فى أعناق أولئك المتاة من ذوى النعمة واليسار ، فراح يجمعهم حوله وينادى فيهم بمبادئه السامية . وكان عمدة القرية رجلاً عاتياً ظالماً فجمع لمحاربته كل قواه ، وأخذ يكيد له فى الجهر والخفاء ويوقع به فى كل فرصة . وما زال الرجل يتلقى ضربات هذا الطاغية فيصمد لها مرة وينهزم أخرى حتى أوشك ماله أن ينفد

وظل المسكين يجالد الأيام ويناضل المتاة من أهل قريته ، وينفق من صبابة ماله على مواساة ذوى الحاجة والمعوزين حتى نضب معين ثروته فتنكرت له القرية بأسرها ، وشمت به أعداؤه ، ونفر من حوله أنصاره الذين أنفق فى سبيلهم ماله وشبابه وجاهه. واسترسل عمدة القرية فى النكاية به فألَّب عليه هؤلاء الأنصار الذين نعموا بثروته ، واستناروا بآرائه ، وجرَّد منهم جيشاً للتنكيل به وإيذائه

وأصبح المسكين ؛ فإذا هو فى القرية البائس اليائس الذى لا يملك من حطام دنياه غير دار صغيرة لا يفى ثمنها بما هى مثقلة به من الديون

وفى ذات مساء جلس الرجل فى دراه حزيناً كئيباً يتحدث إلى زوجه الوفية الحنون وينفض بين يديها جملة حاله ، وقد جدعت الحاجة أنف العزة ، فكاشفها بما آل إليه أمره ، وكان يخفى عنها كثيراً مما أصابه من الخيبة والفشل ...

ورأى آخر الأمر أن يرحل عن قريته تحت ستار الليل تاركا داره دون أن يشعر بهجرته أحد ، واستقر رأيه على أن يصحب زوجه وابنته فاطمة التى كان قد رزق بها فى آخر أيامه

وكانت الأيام قد غالته فى بصره ، فأصبح كفيفاً يدب على عصاه ، وتألبت عليه الكوارث ، فألمت علة الصدر على زوجه الوفية ، وأعوزه المال ، فلم يجد منه ثمن الدواء !

خرج المسكين فى جنح الظلام يحمل بعض الثياب والزاد ... وخرجت معه زوجة تقوده إلى ظاهر القرية ، وابنته الصغيرة تدرج إلى جواره ، وهى لا تعرف من شأن هجرة أبيها وأمها شيئاً

وكان قد أجمع الرأى على أن يقصد العاصمة علَّه يجد بين أغنيائها محسناً كريماً يدفع عنه غائلة الحاجة فيمد إليه يد الرحمة بقية أيامه

وليست العاصمة بقريبة من قريته ، فالشقة بعيدة والزاد قليل والبرد قارص ، وزوجه المريضة يتولاها السعال ، وتقسو عليها علة الصدر. كلما جد بهم المسير ...

لكن الشيخ ابرهيم مجاهد — وهذا اسمه — رجل غالب الأيام وصبر على أذاها ، فهو لا يزال رغم ذهاب بصره وماله وشبابه الرجل القوى الشكيمة ، وقد أراد أن يصل إلى العاصمة ، فلا بد أن يصل ...

ورأى الشيخ إبرهيم أن يجعل مسيره ليلاً ليتقى بالمسير غائلة البرد ، ولكيلا يراه سكان القرى القريبة فى غدوهم ورواحهم نهاراً ، فظل يسير الليل ويستريح النهار حتى صار قريباً من العاصمة ...

لكن العلة كانت قد اشتدت وطأتها على زوجه ، وأنهك المسير وحيدته الطفلة ، وهو لا يزال — مع ذلك — يسكب فى آذانهما كلماته العذبة الرقيقة يغريهما بافتراب العاصمة ويمنيهما بالراحة الدائمة فى كنف المحسنين من سكانها العظماء ! !

وكان قارص البرد يوغل فى القسوة والشدة يوماً بعد يوم ، واحتمال الزوج المريضة والطفلة الناعمة ينفد يوماً بعد يوم ...

— ٤ —

فى ليلة من تلك الليالى الجاهدة كان الشيخ ابرهيم وزوجه ووحيدته قد أشرفوا على قرية من قرى الفليوبية . وكان السائر فى طريق تلك القرية يرى فى عجمة الليل وإغفاءة الفجر ثلاثة أشباح تترنح فى الظلام الدامس من فرط الإعياء والجوع والبرد . أولئك هم التعساء الثلاثة فى طريقهم إلى القرية

وقال الشيخ لزوجه : اسمعى يا عائشة ! ! هذا صوت المؤذن يجلجل : الله أكبر الله أكبر حى على الصلاة . إن الفجر يوشك أن ينبثق . سنصل إلى هذا المسجد القريب فأدرك صلاة الصبح ، وهناك نحتمى من هذا المطر المنهمر وننعم بدفء الشمس فى الصباح هيا يا عائشة انهضى ، اعتمدى على منكبى فقد أوشكنا أن ندرك الغاية ...

وكانت المسكينة قد أخذتها نوبة السعال ، والمطر ينهمر ، والرعد يقصف ، والسماء غاضبة ، والليل موحش . وتهالكت

على نفسها فنهضت تخفى بين جوانحها ما تعانى من ألم وضعف وتخاذل، ومشت إلى جواره خطوات، ثم اشتدت عليها وطأة الداء، وأعياها المسير فسقطت تحت أقدام زوجها الضرير وظلت تئن وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة . والزوج يتحسس مكانها ولا يراها ، ويتشمم أنفاسها الخافتة ، ويتسمع دقات قلبها الموجع ...

وفى هذه اللحظات الرهيبة دوّى صوت المؤذن مرة أخرى : « الله أكبر . الله أكبر » وكانت الزوج قد لفظت آخر أنفاسها وأصبحت جثة ملقاة فى وحل الطريق ، طريق العاصمة . . .

وأدرك الشيخ أن زوجه قد ماتت فألهبت الفجيعة رأسه وراح يتخبط كالمجنون ، ويصيح فتذهب صيحاته فى سكون الليل بدداً . . .

وكان المؤذن لا يزال يدعو الناس إلى الصلاة فاختلط صوته بصوت ذلك المفجوع الذى وقف فى الطريق يدعو الناس إلى عونه فى مصابه

وظل الشيخ الضرير يتشمم جثة زوجه الوفية ويبلل وجهها بدموعه . أما وحيدته فاطمة فقد كان منظرها فى سواد الليل وإلى جوار جثة أمها تصطك أسنانها من شدة البرد وتبكى من ذوب قلبها دموعاً — منظراً يذيب قلب الحجر ...

... ثم مضى الليل ! فوارحمتاه ! كيف مضى ؟ !

وكان صباح ...

وبكر فلاحو القرية بالماشية إلى مزارعهم ، وانتشروا على ظاهر الطريق يتلاقون على تحية الصباح ، ثم رأوا ذلك الشيخ الضرير يحنو على جثة زوجه ، ورأوا وحيدته الطفلة وقد ارتمت فى أحضان أمها خائرة تبكى وتئن

واجتمع أهل القرية على فعل الخير فأعانوا هذا الغريب المرتحل فواروا جثة زوجه التراب . وظل الشيخ مع ابنته فى مقبرة القرية أياماً طوالاً لا يبرحها ولا يكف عن النحيب ، ووجد زاده من جود أهل القرية ، فكانوا يمدون إليه يد الإحسان يوماً بعد يوم

ثم رأى الشيخ أن يرحل عن المقبرة إشفاقاً على وحيدته الطفلة ، وأن يمضى بها إلى غايته ، فقد أصبح على مقربة من العاصمة ... فليمش من أجل هذه الطفلة الغريرة ، وليجد لها سبيل العيش فى كنف رحيم من ذوى اليسار هناك

— ٥ —

وصل الشيخ إلى ضاحيتنا على حافة الصحراء ، واقترب من المدينة الآهلة بذوى البر والثراء وأصبحت منه على بضعة كيلو مترات ، وجلس يستريح من وعثاء الطريق ؛ وراحت ابنته تلعب من حوله وتطفر فى ضوء الشمس لاهية

ونظرت الطفلة فرأت قصراً كبيراً تحيط به حديقة غناء ذات سور من القضبان الحديدية ، وكان أبوها قد أحس ببعض الراحة وبعض الدفء فأغفى إغفاءة المتعب المكدود ، وعدت الطفلة نحو سور القصر تنظر من بين قضبانه لترى أشياء وأشياء لم تكن رأت مثلها من قبل ، وأطلت على الحديقة ، فلم يكد نظرها يقع على ما فى داخلها حتى عادت إلى أبيها تعدو فأيقظته — وقد راعها ما رأت — ثم راحت الكلمات تتناثر من فمها الصغير فى غير ترتيب

— قم يا أبى ، قم ولا تنم ، تعال انظر ما فى هذه الحديقة ، وكأن المسكينة نسيت أن أباها لا يستطيع أن ينظر ... تعال يا أبى لأريك دنيا غير دنيانا . نظرت هنا يا أبى من بين القضبان فى حديقة هذه الدار الكبيرة فرأيت الأرض كلها مفروشة بشىء أخضر يشبه الزرع الذى نزرعه فى بلادنا ، لكنه ناعم ملتصق كله بالأرض ، ورأيت الأرض التى يمشى عليها الناس مفروشة بشىء أصفر يشبه الدقيق لكن الدقيق أبيض ، ورأيت رجالاً كثيرين يذهبون إلى آخر الحديقة من الجهة الأخرى ويفتحون أبواباً صغيرة فتخرج منها كلاب تجرى فى الحديقة ... أى والله إنها كلاب يا أبى تشبه كلاب بلدنا ، إنها كثيرة جداً أكثر من كلاب بلدنا جميعها ؛ إن الناس هنا يا أبى يلبسون الكلاب ثياباً خضراً من القطيفة كالتى كنت ألبسها وأنا صغيرة ويضعون فى رقابها أطواقاً تلمع مثل الذهب كالتى كانت أمى تلبسها فى رقبتها . إنها كثيرة جدا يا أبى ، إنها كلاب حقيقية ، لقد شممتها تنبح مثل كلابنا تماماً . تعال يا أبى نطلب من هؤلاء الرجال طعاماً من الذى وضعوه الآن لهذه الكلاب ، إننى رأيتهم يحملون آنية كبيرة وفيها الثريد وعليها اللحم ودخان الثريد يتصاعد فى الفضاء ، اللحم هنا يا أبى كثير جدا ، لقد شممته بأنفى ورأيته بعينى . قم يا أبى ، قم ولا تنم إن الدنيا هنا جميلة والأكل كثير ...

تناثرت هذه الكلمات — فى لهفة — من فم فاطمة الصغيرة وأطرق أبوها عند سماعها ما شاء الله أن يطرق ، ثم حاول أن يصرفها عن ذكر هذا الذى رأت بمختلف الأحاديث ووعدها أن يقوم بعد قليل ليحضر لها الطعام

أما هذا القصر فهو قصر « عظيم » من عظماء العاصمة بناه فى ضاحيتنا النائية ليقضى به بعض أيام الشتاء . وقد ورث عن أبيه العظيم مالاً وعقاراً وضياعاً . وكان مما نزعت إليه نفسه أن يقتنى أكبر مجموعة من كلاب الصيد وكلاب الحراسة وكلاب الزينة فاجتمع لديه منها ما يزيد على المائة . وقد عنى ببناء أوجرة نظيفة مفروشة تأوى إليها هذه الكلاب ، وجعل لها غذاء فى اليوم خمسين أقة من اللحم !!!

ورأت فاطمة الصغيرة ما رأت — وكان الجوع والإعياء قد فعلا بها فعلهما — فعادت إلى أبيها — فى براءة الطفولة الغريرة — تستحثه على النهوض ليطلب لها من خدام الكلاب لحماً وثريداً مما يحملون ...

أما أبوها الضرير فقد ظل مكانه مطرقاً ، وأما وحيدته الجائعة فلم يستقر لها مع الجوع قرار ...

— ٦ —

تركت الطفلة أباها فى إطراقته الحزينة ، وتسللت من جانبه نحو سور الحديقة ، وكان الحراس والخدم لا يزالون يحملون اللحم والثريد إلى الكلاب ... وطغى الجوع على الإنسانة الصغيرة وسال لعابها ، فاندفعت من بين القضبان داخل السور الحديدى ، وعدت إلى قصعة من القصاع ، فمدّت إليها يدها تأخذ قطعة من اللحم ، ولم تكد الجائعة الضاوية تمد إلى اللحم يدها ، حتى أطبق عليها كلب ضار من كلاب الحراسة ، فأعمل أنيابه الحادة فى بطنها ، فتفجر دمها الإنسانى وخرجت أمعاؤها ... ودوّت فى الفضاء صرخة واحدة وصلت إلى أذن أبيها الضرير ، فعرف صوت وحيدته وأيقن أن مكروهاً أصابها ، فنهض يعدو متخبطاً يسأل الغادين والرائحين عن مصدر الصوت ، فلا يجيبه أحد ...

كانت الصرخة التي دوّت فى الفضاء صرخة واحدة ، وكان الوالد الضرير يرقب صرخة أخرى ... علّه يهتدى بها إلى مكان ابنته ... لكن الأقدار العاتية أبت عليه ، حتى هذا الرجاء ، فظل يعدو هنا وهناك بقلب مفجوع وكبد تتمزع ...

وكان مصرع الطفلة بين أنياب كلب العظيم الضارى قد أثار ضجة بين الحراس والخدم ، وتسمع الوالد المفجوع إلى هذه الضجة فقصد إلى مكانها ...

لكن الأسوار شاهقة منيعة ! ! ...

صاح الرجل صيحات مدوّية جمعت الناس حوله ... ثم راح يستنجد بهم أن يدلوه على مكان ابنته ... وتطلّع الناس إلى داخل الحديقة ، فرأوا الطفلة ملقاة على الحشائش ينزف دمها ، والخدم من حولها يتصايحون ...

قال أحدهم :

— يجب أن نلقى بها خارج الأسوار قبل خروج الباشا حتى لا نتعرض لغضبه وعقابه ، إنه سيوقع بنا العقاب لأننا غفلنا عن العناية بالكلاب وحراسة طعامها من أيدى المتسللين !

وقال آخر :

— يجب أن تبقى على الباشا يرق لحالها فيواسى أهلها المساكين . ثم قر الرأى بعد هذا الخلاف على أن يلقى بالطفلة خارج الأسوار ...

وعرف الوالد الضرير مصرع وحيدته وراح يتشمم جثتها ، ويذرف فوقها الدمع فيختلط بدمائها القانية

واجتمع أهل الضاحية فأعانوا الغريب المرتحل على مصابه . لكن الغريب المرتحل كان قد ذهب عقله ... فلم يدرك لصنيعهم معنى ، ولم يعرف بعد ذلك من شأن الدنيا إلا أن يتبع جثة فاطمة إلى المقبرة وأن يرتمى فى تلك الحفرة العميقة بجوارها إلى آخر أيامه

وهو كما رأيت الليلة لم يبق على لسانه غير هذه الكلمة الواحدة يكررها ثم يكررها : كلاب ! ! ! كلاب ! ...

— ٧ —

كان البدر — أول الليل — يتألق فى صفحة السماء ، وكان إشراق الطبيعة فى تلك الليلة يغرى بالحركة والنشاط

ولم يكد صاحبى يحدثنى ذلك الحديث الدامى خلال عودتنا إلى ضاحيتنا حتى تجاوبت أصداء الرياح فى الأرجاء ، وغام على البدر المتألق سحاب متكاثف ، فزمجرت السماء ، وانهمرت الأمطار ، وصارت الطرقات مظلمة خرساء

وآويت إلى مضجعى مطرقاً حزيناً ثائر النفس مضطرم الجوانح أرقب طلائع الصباح ! ...

عبد الله عريب